

عاليا و بعيدا

سوف عيد



عاليا و بعيدا

الرّحى

أعذبُ من سنفونيةٍ
أمّي تُغني
على رجح رحى الصوان
متربعةً على قرو
خروف العيد
في غار حوشنا القديم
بين الحين والحين
ثلقم من كفها فم الرحى
حفنة قمح أو شعير

للنجع الراحل تغني
لخصب مراعي أقاصي الجنوب
للخيل / للبارود / للفرسان / تغنيل
للعزيز البعيد أبي... تغني
متوسدا ركبتهَا
أنظر إلى الرحى
تطحن الحبّ يستحيل إلى دقيق
أدور مع الرحى تدور... أدور
...
عندما أفقت
... دارت الأيام / مضت الأعوام

وجدتني في قلب الرّحى

فضاء

أرضٌ هذه... أضيق من خطاك
سماء تلك... أدنى من جناحك
لن يسع قلبك
إلا قيس من نور المشكاة

الأدغال

إلى محمد علي عماري

اليومَ أيضا في إفريقيا أو آسيا
قبل طلوع الشمس
نهض غزال باكرا
كي يتعلم كيف يُسرّع أكثر
فلا يلحقُ به الأسد

الأسدُ كذلك ربما استيقظ اليوم قبله
عليه أن يتهيا أكثر هو أيضا
كي لا يُفَلت منه الغزال

في أدغال الإسمنت والحديد
أو في طرقات الثلوج
ليس المهم أن تكون أسدا أو غزالا
المهم فقط
أن تفتح عينيك
وقبل الآخرين تنطلق

زهرة الصبّار

عندما الصّيف
يُطيل جبال الدّلاء فلا تكاد تصل إلى قاع البئر
تبدأ أصابعنا تمتد وتمتد
لا تصل هي أيضا إلى التّين و التّمر
الرّاسب في قعر الجرار

يكون الصّيف قد أوغل في سُقوق أقدامنا
وقتذاك
لا ظلّ لنا إلّا زيتونة الوادي
لكم حلّقت أحلامنا تحتها على الأرجوحة
إلى أعلى سماء

في تلك القبولوات
الشمس تجري كرة جمر فوق رؤوسنا
ونحن نتسابق نحو شجرة الصّبّار
لنراقب ثمراتها
تينع على وهج ريح الشهيلي
حتى تصير الخضرة إصفرارا

ما يكاد يتبيّن لنا أوّل خيط أصفر فيها
حتى تُسرّع إليها
قبل أوانها
واحدة... واحدة

نحن... إلى اليوم لا نُصدّق
أنّ لذاذة ذلك التّين الشهيّ الرّويّ
محفوفة بالشّوك
برغم وخزات الأكفّ الصغيرة

زهرة الصّبّار
بألوانها
بريحانها
كنا نراها بتاجها ذلك
سلطانة

بل ثمرةً
من ثمرات الجنة

غاسل الموتى

غاسل موتى القرية
لا أجر له
إلا دعاء الصحة والعافية
آمين
بعد ياسين
وما تيسر من ثياب الفقيد

في كل يوم جمعة
في كل عيد
ومن حين لآخر
ربما ترى عليه لباس الذين غابوا
... كأنهم يمرون في السوق

... امرأة غاسل موتى القرية هي أيضا
تماما مثله
إنما... في النساء
لذلك تبدو بين الجارات
عروسا
دائما...

بالأحمر على الأبيض المتوسط

السادسة صباحا
دون أن أغسل وجهي
فتحت التلفزيون
للصباح حمرة الشفق القادم من الشرق
من يعلم أنه سيشرق اليوم دما أيضا
تسبح فيه سفن
سفن ترفرف حرية ودواء وغذاء
لغزة

طائرات لا تطير كالحمام
طائرات لا ترفرف كالعصافير
طائرات لا تشدو كالبلابل
طائرات من أزيز ورضاص
إذن لغزة المزيد من النار والحصار والدمار
لغزة المزيد من الجوع والعطش
لغزة المزيد من الظلام
فإسعدوا يا عرب
واهنؤوا بالصيف على السواحل
بالمهرجانات والأسفار
بالفنادق والرقص
بالفصاحة والشعر والجوائز

هنيئاً لنا بالنفط والزيتون
هنيئاً
هنيئاً لنا بالعمائم والمذاهب والملل
هنيئاً لنا بفتوى الرضاة والمسيار والتوريث
هنيئاً لنا بحرية النساء في لباس العراء
هنيئاً لنا باقتصاد السوق وسباق النوق
هنيئاً لنا بالشقاق و النفاق
هنيئاً لنا بالوطن نفديه من أجل كرة القدم

وغزة
صباح آخر من حصار
وموجة أخرى
من دم

في مهب الريح

تحدثه عنهم جميعاً
الذي
والذي
والذي
الذي وعد / أخلف
الذي سافر / لم يعد
والذي تقدم / توقف

تحدثه عنهم جميعا
ولم تر أنه أمامها
يذوب صامتا

...غدا
يصبح هو أيضا الذي طرق الباب ومضى
لن تقول أنه ظل ينتظر صباحا / مساء
مساء / صباحا
طبعاً لن تقول إنها لم تفتح
ستقول كان مثلهم
وهو مازال هنا
مايزال واقفا
...هنا

حواء

يمامتان
رفرفتا في أعلى سماء
عندما تعبنا
حطتا على كفي آدم
ونقرتا الحَب على صدره

إشتهت حواء يوماً تفاحة
هزّت بالجذع إليها
فتساقط الشهد على شفثيها
ذاقها آدم
فصعد بها إلى الجنة

إلى الجنة عادت حواء بآدم
هي الآن في أحضانه
تتلمس بأناملها
...ذكريات الدنيا

القرنفلات الثلاث

قرنفلة

قرنفلة حمراء

قرنفلة حمراء حمراء

أين يضعها

- في مزهرية ؟

المزهرية جعلها لصغار السمك

- في كأس ؟

كل الكؤوس بمثل هذه القرنفلة لا تليق

فكر أن يطويها بين صفحات كتاب

القرنفلة مازالت يانعة ريانة

- و إذا المؤودة سئلت -

إذن

رشقها في جيب صدر قميصه

ونام

من غد

نوّرت بجانب القرنفلة قرنفلة أخرى

من بعد غد

نوّرت ثالثة

عندما أراد أن يخرج القرنفلات الثلاث من جيب صدره

أدخل أصابعه برفق في الجيب

لامست أصابعه جذورا

في الحين

أخرج أصابعه

فتح أزرار القميص

وجد جذور القرنفل

نابتة

في القلب

النظارة السوداء

هذا القلب
الذي يدق على وقع خطاك
من صدري سأنتزعه
أقطعه فُتيتات ، فُتيتات
وأثره من على الجسر
إلى السمك

هذه الأصابع
التي كانت تسري إليك
سأقص بنانها إربا ، إربا
وألقيها عند زاوية الزقاق
إلى القلط

هذه العين
التي رأت ما رأت
وبكت ما بكت
حتى جفت وخبث
سأقتلعها
وأرميها في الخلاء
...مكانها
سأضع نظارة سوداء
مثلك تماما
فلا أشعر
لا أرى

المدينة العتيقة

في المدينة العتيقة
كان لقاؤنا
شمسُ العصر بين القباب
وظلانسارا
من بين شقوق الزوايا
على تيجان أعمدة المرمر

في أقبية الأزقة إخضوضر الربيع لوحةً
... نور أحمر أصفر وأبيض هناك
عند حافة اللوحة هما وقفا
هَمَّت الأصابع بالأصابع
في رقصة الألوان والظلال
يد إمتدت إلى يد
في راحتها
ثمّة
سكنت

في اللحظة تلك
و العين في العين
أينعت كلمة كادت تُرسم بين الشفاه
لو لا أنّ حمّامة حطّت
وفي لمحة
نقرت الحروف
ورفرت

طارت... حلّفت عاليا ... عاليا
فوق السطوح
والقباب
والصوامع

نثرتها فوق المدينة العتيقة
فإذا السماء فوقها أمست
قوس قزح

ذات صباح

ذات صباح
من ذات يوم
من ذات ربيع
من سنوات عشر
من الألفية الثالثة
أفقت
وجدت وردة في كفي حمراء

إن التي سلّمت ومضت
لقيتها البارحة
ذات حلم
من ذات ليلة
من ذات فصل
من ذات سنة
من سنوات عشر
...من الألفية الثالثة

صباحية

أبكم أصبحتُ
أو أن شفاهي عذراء
كيف أقول صباح الخير
وحروفي البارحة
نسيتها
...على شفّتك

ليته ما قالها أبدا

يومَ فاجأها بوردة
قال : سأهديك ألف باقة وباقة
ليته ما قالها أبدا
ربما
وقتها هزأت في سرّها
حين قالت
- ألف باقة وباقة...أحقا.. وكيف...؟
كان سيقول لها أيضا
- وسأهبك عقدا
به ألف لؤلؤة
ولؤلؤة

...بلى
لم يكن يكذب
...بلى
لم يكن يحلم

يومها
كانت الشمس تبشر بالربيع
كان سيذهب معها إلى الحقول والبراري
وسيقطف لها ما ترى وما تشاء
من كل لون وشكل... وشذى

يومها
...عندما كان سيأتي المساء
والليل إذا سجا
سيقول لها
- أنظري إلى السماء
في لمحة
كان سيطرز لها ألف نجم
ونجمة
...على جيدها

عند الفجر
كان سيمضيان معا
بعيدا...بعيدا
حيث ضرب لها موعدا
...مع البحر

تاكسي

من حديقة الحيوانات خرجتُ
فحصتُ نظارتي بالدقة و العناية
أزيحُ عنها ما علق من غبار و نثار
دققت نظرا
أمعنتُ
تمليثُ ... أبصرت
عجبا
الرجل الذي يقف جانب الباب لفحص التذاكر
كأنني أراه برأس
...برأس
نعم برأس ذئب عليه قبعة

لا شك أنه يخفي ذيله تحت معطفه...

المرأة تلك... التي هناك
التي ساق على ساق على الكرسي
رأيتها برأس أفعى ذات قرنين
- دعني أقول إذن -
غزالة
بنظارات شمس رغم يوم شتاء

أولئك الصبيان
الذين في هرج و مرج
رأيتهم
قطيعا من غنم
- كي لا أقول -
..... كذا أو

أوقفتُ أول سيارة تاكسي
فتحت الباب الخلفي
جلست
التفت إليّ نمر
سألني عن العنوان

طول المسافة أحسست أنني وليمة له
بين قضبان
ما بيني و بينه إلا المخالب

بالسلامة و صلتُ
قفزت إلى مكتبتي
و فتحت كتاب الحيوان

شجر الصقيع

أضحى
فأمسى
غير أنه ما بات
وما أصبح

كان وعدا
ررف حلما على الشجر في ليالي الصقيع
أزهر اللوز قبل الفجر
مع تباشير الصبح
والمؤذن يرتقي درجات الصومعة
أطلقت الأعشاشُ أولَ الزقزقات

هياثُ شباكي و زادي
قصدت البحر
قلت في الأزرق نلتقي
ستمثلي جرابي بالأسماء
وأحملها
إنتظرت
لم تأت

بشباكي
إلى البراري يممت وجهي
لعلها هناك في إنتظاري
قلتُ ستخط العصافير تلتقط
ألتقطها وهي تحط
لم تحلق في سماء
ما لاحت في جواء
لملمت شباكي
عدت

صعدت أدراجي
أدرت المفتاح
دخلت
لكأني بخطاها على بساط الورد
تتفتح أمامي
أفتح لها القرطاس
كأني بها تتناوله بيدها الحمامة
تفتح زجاجة العطر
التي كنت س,, و س
فإذا العطرالذي فيها

تبخر
تبخر من الشوق

معركة حنبعل الأخيرة

صفّ أول
من الفيلة ثمانون
رماة النبال على متنتهم والرماة
صف ثان
عشرون ألفا
من كل حدب إستنفروا وصوب
بكل سلاح
مرتزقة

الصف الثالث
عشرة آلاف من قرطاج
الحفاة فيهم / العراة
و الذي يجزّ الحرير والديباج

على الميمنة خمسة آلاف من الفرسان
على كل لون و لسان
على الميسرة حشود الحلفاء
و كل إمريئ وما نوى
تحسيهم جميعا و قلوبهم شئى

قال الراوي : الرومان ثلاثة صفوف
بعضهم يشد بعضا في إنسجام و نظام
الرماة الفرسان المشاة
كيف نزلوا بحضرموت
و تقدموا حتى وصلوا - زاما جلا نزال
و لا قتال
كيف نامت قرطاج
قال الراوي : بل أغمضت عينها
كي لا تراهم

الآن... كان الذي كان

فات الأوان
فتح حنبعل عينيه
و أمر بالهجوم

إنطلقت الفيلة مسرعة إلى الأمام
ما كادت تقترب من الصف الأول
حتى نعقت أبواق و إفرنقعت طبول
و ثار في وجهها الغبار

: قال الراوي
فجأة تراجع جيش الرومان
الرماة أولا
من بعدهم تأخر الفرسان
ثم انسحب المشاة إلى الأطراف
والتفوا حتى أحاطوا بالفيلة
دارت على حنبعل الدوائر

هيا بنا... هيا بنانادي حنبعل في الميمنة و الميسرة
لا حياة لمن ينادي
فرّ جيشه عبر الأودية
و تفرق في البوادي

صمت الراوي
ثم قال ; في زاما روما إنتصرت
كتب التاريخ : بل سماسرة قرطاج
باعوا حنبعل

وحدة

وحيدة
منسية
كزهرة
عباد الشمس
في يوم
سحاب

النقطة

إلى الشاعر أديب كمال الدين

كم كان لابد من مجرّة شمس
تجري لمُستقر لها
ليتحول الضوء إلى نقطة
كم كان لابد من كوكب أرض
تدور في الفضاء
لتسير نقطة على خط

كم كان لابد من كسوف و خسوف
ليخرج من مغارة مستقيم
كم كان لابد من بركان و زلزال
ليصير المستقيم زاوية
تُمسي الزاوية مثلثا
يغدو المثلث مربعا
و ما أدراك ما الدائرة

كم مضى من عصر و من مصر
من لوح و من حجر
لنرسم ظلنا ألفا
لنرسم الباء شَقَّة
الخاءَ خد الحبيبة
بالهاء أتممنا رسم الأبجدية
ثم بالوثاق ربطناها على القرطاس

كم يلزمنا من حبر و من دهر
لمحو ثرثرتنا
فيعود الحرف إلى نقطة البدء
و يخرج طليقا
تحت الشمس

الكروان

لصيد الكروان

سألت شيخ الصيادين قال
أترك اليمام والسُّمان والحبارى والقَطَا
قلت : إِمَّا الكروان و إِمَّا فلا

صَوَّب النظر إليّ قال
- الكروان
طائر البراري النائبة
عشه في أعالي الجبال
لا يلتقط رزقه إلا
في الفجر
أو عند الليالي المقمرة
تراه يحط من عل
على السباب
بجناحين كمثل المروحة
في حفيف وإنسياب
من منقاره الدقيق يشدو بصوت
لا هو بهديل لا هو بتغريد و لا زقزقة
إذا استمعت يوماً فأنصتُ
كالمعين في رقرقة
إن رُمّت له صيدا
لا الشباكُ - هيهات - إليها يسعى
حيث لا تغريه الفُتات
نحوه تُرمى
لا الفُحُّ يقع فيه - إليه يُنصب -
عينه الصفراء الصافية بصر
و بصيرة
لا النبل يُصيبه
قبل أن ينوشه
ينعطف بجناحيه
عاليا و بعيدا

قلتُ
ولا حتى يصيبه رصاص
قال
أو يهون عليك الكروان
حسبتك لست مثل الناس !؟

خجلتُ والله من الشيخ
ولم أسأله عن السر في بيض الكروان
وما قيل فيه من الباهِ والبهاء...

كانت لي ليلةٌ
هياتُ جوادي و زادي
بعدهما نلت غمضتين
إنسللت من القوم
أولِّي وجهتي عُش الكروان
عبر المسالك والشعاب أسري

أسبوع مضى
أمسيت في الخلاء
حيثما التفت
لا شجر لا طير
إلا الغبراء و الصلداء
ولا ماء
قلت : هنا أقضي ليلتي
أستريح و يستريح الجواد
و إنَّ غدا لناظره قريب

نزعت عن جوادي اللجام
علقت له المخلاة
نصيبي حفنة تمر و سويق
جعلت السرج وسادة
برنسي فراشا و غطاء

ما كدت أسلم الأرضَ جنبي / نمت
رأيتني في ما يرى النائم
يحف بي سرب الكروان
يمسك كل طير بمنقاره من طرف البرنس
و يُقلع بي
سرعان ما رأيتني سابحا في الجواء
بين أجنحة الكروان أطيرو
أرفرف

عاليا عاليا / بعيدا بعيدا
أنساب مع الريش و النسيم
رقيت الهضاب / الجبال / السحاب
مرقت بين الرياح و الأنواء
فلما أشرفت على المنتهى
رأيتني رويدا رويدا أنزل
كأنما تهدهدني أرجوحة
ثم وطأت قدماي كمثل بساط ورد و زهر

رأيت ما رأيت
رأيت تلك التي بالأحضان عانقتني
في لمستها كمثل كفي أمني
مسحت رأسي وعلى صدري
في رقتها و عذوبتها كمثل قطر الندى
ينثال
في لحافها دثرتني
بكيث...بكيث
حتى رأيت الأمطار والأنهار والبحار
تغمر بسلام البراري و السباسب و الصحاري
الأرضُ عادت جنات

رأيت ما رأيت
رأيت جميع خلق العصافير والطيور
ترفرف حولها
بعضها يشدو
بعضها يغرد
بعضها يزفرق

رأيت ما رأيت
رأيت زوجين من الكروان يحلقان نحوي
حَامًا حولي سبعا
ثم حطًا على كتفيَّ
و طفقا يخصفان عليَّ من ريشهما
و يُسمعاني أغنية من أعذب الألحان
ثم لكأنني بهما يرفرفان بين يديَّ
ينسجان عشهما بين أصابعي

- كنت ألامس الحرير -
وهما في رقص و حبور
و وئام و إنسجام

كم مضى من الوقت
لست أدري

عندما أكمل العش
طافا حولي سبعا
ثم طارا
أفقت وهممت بالوقوف
فإذا ريشة
على رأسي
و بيضة من ذلك العش
في يدي

ذات عصر

ذات عصر
في الحديقة
الصبيان زرافات
زرافات
الفتيان / الفتيات
مثنى
مثنى
في الممشى
شيخ
وحده
بين ظله
وعصاه

الفاتحة

الأعشاب
تحت شمس صباح العيد
رغم الصيف

خضراء يانعة
أمّر فوقها أناملي
مثلما كنت أداعب خصلات أمي

عند رأسها تربعت
مددت يدي
أشباك أصابعي
ألاعب أقراطها
أتنفس طيبها ... أتأمل سواكها
في تمام زينتها دائما هي أمي
أمكث في أحضانها أحلم
تهدهدني
أنام حتى
أفقت على البياض
سحبت أصابعي
و سوّيت الأعشاب الزائدة

سلاما
سلاما لجبينها
سلاما لوجنتيها
سلاما لصدرها
سلاما ليديها
سلاما لقدميها
لتوّها من الغيمة البيضاء عائدة

وقبّلت الشاهدة

مقبرة بحرية

بين موجة و قبر
نواره ملح
بيضاء

ماسح أحذية

كتب على صندوقه

الحذاء اللماع
يزيد الوسيم
أناقة

عشق

مرحى للعنكبوت
خيطا خيطا
يتقضى أنثاه
عندما إليها يصل
بين يديها / في شراكها
بعد الوصل
يموت

وطن

قلبه
موحش
خال
صباحُ يوم عيد
في العاصمة

في الطابق التسعين

رُكن
ركن في قاعة إستقبال
قاعة إستقبال في شركة
شركة في طابق تسعين
طابق تسعون من ناطحة سحاب
مزهريّة
مزهريّة فارغة
مزهريّة فارغة منسية
مرّ سحاب صيف
و خريف
مر سحاب خريف

و شتاء
ربيع أتى
المزهرية طللت بلا شذى
رغم مرور تسعين ربيعا

أول يوم من أيام ربيع
الربيع الأول بعد التسعين
نبتت في المزهرية جذور
بلى... نبتت في المزهرية جذور
جذور صغيرة
نمت الجذور
بين غبار السنين و الرطوبة
سنةً بعد سنة
تدلت الجذور
عبر شقوق
من خلال نوافذ
و فجوات أبواب منسية
من طابق إلى طابق
حتى إنغرست في الأرض
الأرض الخلفية

قبل أن تغيب شمس آخر يوم ربيع
من العام الحادي والتسعين
صار للمزهرية المنسية
زهور
زهور برية
و ذات شذى
شذى في الطابق التسعين

عاليا وبعيدا

إلى وائل,,, من ذكرى أبيه زياد

بعد كعكة الميلاد
الأولى

بشهر أو شهرين
في صالة البيت ذات صيف
صبيّ يحبو
فجأة قام
تقدم خطوة
خطوتين
سقط
قام
سقط
مرة أخرى نهض
هذه المرة مشى
و إلى آخر الرواق
من وقتها
عرفت أنه يسير بجناحين
و سيمضي
عاليا
و بعيدا

رمضان أبي

عند سحور أول يوم في رمضان
يخرج أبي من بيتنا
يقف عند العتبة
تماما كما يستقبل الضيف يقول
_ أهلا وسهلا
مرحبا و بالبركة

عند آخر مغرب في رمضان
يخرج أيضا أبي
: كما يودع أعز الضيوف
_ بالسلامة و إلى اللقاء

منذ عام
ودّع أبي رمضان
من عادته يسير معه بعد الباب

خطوتين
أو ثلاثا

هذه السنة
سار خطوات أكثر
إلى ما بعد الزقاق
...
عاد رمضان
فوقفت عند العتبة... أنتظر
أبي ... لم يعد

بئر الكرمة

كلما تقدم الصيف يوما
تدلت أيدينا و جالت أكثر
في الجرار
ينقص الماء فيها و التمر
تماما كظل جدار حوشنا القديم كل صباح
يتربع الكبار حول كؤوس الشاي
وما جادت به سلة التين
يفسرون للنساء أحلامهن ليلة البارحة
ينصبون شباك الرياح لغيوم
تجيء أو لا تجيء
لا تكاد الكأس الثالثة من الشاي تتم دورتها
حتى نتسلل واحدا تلو واحد
إلى الوادي
نجمع من تحت النخيلات ما إساقط من التمر
إذا ما ظفرنا بحفنة أو حفتين
نُسرع بها
تكاد الحجارة تقدح من تحت أقدامنا الحافية

هناك

عند البئر
نتقاسمها و الصبايا
تزغردن عاليا...عاليا
عميقا أيضا
حتى عيونُ البئر تسمع الزغاريد
كي ترشح قطرة قطرة
فُئدني بأذاننا على الحافة الملساء
من الحبال
ننصت إلى رقرقتها العذبة
...لنرى رويدا رويدا كيف تمتلئ الدلاء

مُهْرَج المهرجان

الليلُ بستان ياسمين
المسرحُ باقهُ من نجوم
خرج المهرج على الحفل وقال
يا ترى...لو سقط القرد في البئر
كيف يخرج ؟

أجاب الأول
بالوثب و القفز
_ لا
أجاب الثاني
يخرج في الدلو
.. لا

عندئذ قال المهرج
يخرج مُبتلا
ضحك القوم ضحكا
حتى زُلزلت الكراسي

عندما أطفئت الأضواء
انسحب المهرج
عاد وحده
أغلق باب بيته

الليل وضحاہ

أنا البحر / قالت
أنا الصحراء / قال
أنا الماء / قالت
أنا السراب / قال
و سبق الفجر إليها

السّاموراي الأخير

إلى الشاعر يحي السماوي

قد يحزّ السيف الصّقيل غمده
- أدخله بلطف
الحصان إذا حمحم
- لا تلتفتُ
الرفيق هو الطريق
إذا دبّ البرد إلى قدميك
- إنهضُ
أسرع الخطى
الوطن يناديك

الساموراي قبل الفجر
إمتطى حصانه و مضى
أخذ العتاد والزاد
جاوز النهر
شق الجبل
عبر البحر
قطع البيداء
أثخن في الأعداء
عَدّوه مع الشهداء
وأقاموا له تمثالا كبيرا في الميدان

بعد أعوام عاد
ما فيه شبر إلا و به ضربة سيف
أو طعنة رمح
أو رمية سهم

الساموراي عاد
فإذا البلاد غير البلاد
بلا أسوار
بلا قلاع
بلا قصر
بلا ملك و لا أسياد
كل شيء صار في أسواق ناطحات السحاب
يباع بالمزاد :
من الحليب و الثياب
إلى شهادات العلم
والألقاب

أوقف الساموراي حركة المرور في الميدان
شاهرا سيفه وظل ينادي : هذا أنا ... هذا أنا

...سيدي / ...من فضلك / ...سيدي / ...إبتسم

سائحة من الإفرنج
تلتقط له صورة
...و تدسّ في يده دولارا

الباقه

ورده
ورده بيضاة
ورده حمراء
ورده صفراء
متفتحة
بغصنها الريان
بأوراقها الخضراء اليانعة

بأشواكها والشذى والندى حتّى
تخادعني كل يوم بأنه الربيع
تماما مثل
إبتسامة الثغر الوديع
في دمية البلاستيك

عكاز الصيف

على صوت أذان العصر
عكاز الشيخ
خطوة خطوة
يدق الطريق
إلى المسجد

لا أحد
لا ظل
إلا هو

مظلته السعفية بيضاء
جبته الصيفية بيضاء
بيضاء بلغته من الجلد

درجة
درجتين
دخل قبة المسجد البيضاء
خطوة
خطوتين
وصل إلى الحصير

خلع بلغته
تركها مع العكاز الأبيض
تحت الشمس

الديناصورات

الديناصورات
عصورا
صالت وجالت
أكلت الأخضر واليابس
طاولت شاهقات الجبال
في أعالي السماوات طارت
و مازالت
ترفرف
تلك الفراشة

الطاحونة

أبوابها مصفحة
حجارتها من صلد الصوان
حيطانها شاهقات من إسمنت و حديد
تدور بالريح
إذا ما خفتت أو سكنت
تدور بالنفط
إذا إنتهى النفط و الغاز
تدور بالكهرباء
إذا توقف
تدور بالماء
إذا جفت الينابيع و السواقي
تدور من الآبار بالدلاء
إذا غارت
تدور بالسيول و الأنهار
إذا عمّ الجفاف و لم يسقط المطر
و لم يبق إلا الحجر
تدور بأمواج البحار
و المحيطات
إذ نزحت
تدور بملح السبخ
إذا بلغت التراب
تدور الطاحونة بالسواعد
سواعد العبيد

إذا تحرروا يوما
تدور بعرق الكادحين
إذا أضربوا
تدور بدولارات أصحاب المليارات
إذا أفلسوا
الطاحونة تطحنهم
و تدور بحقائب الوزراء
إذا أقيلوا
تدور بكراسي الرؤساء
إذا ما سقطوا
في إنتخاب
أو في إنقلاب
الطاحونة تطيح
بعروش الأمراء
و بتيجان الملوك
إذا عصفت بهم الثورات
الطاحونة تطحن الشعوب
تعصرها
تدور بدمائها
و تقول هل من مزيد
تطحن القمح و الشعير
الحنطة / الأرز/ القهوة / السكر
تقول هل من مزيد
تطحن القصب/ الصبار/ السدر / الحلفاء
هل من مزيد
تطحن التين والزيتون/ النخيل / الليمون/ اللوز/الموز
هل من مزيد
تطحن الغابات / الحدائق / الورود/ الزهور
الياسمين
هل من مزيد
تطحن الخيول / الخرفان / الأبقار/ الغزلان / العصافير / الفراشات
هل من مزيد
الطاحونة تطحن الأسوار
الأهرامات
برج بابل
برج إيفل

جدار الصين
حنايا قرطاج
أعمدة البتراء
منارة الإسكندرية
كوليزي روما
ناطحات السحاب
هل من مزيد
الطاحونة تطحن الجبال و البلدان
هل من مزيد
تطحن الأرض و البشر
هل من مزيد
تطحن القمر
هل من مزيد
الأفلاك والنجوم
الطاحونة مازالت تريد
إلى أن تدور الدوايب على نفسها
تطحن أسنانها و سلاسلها بأسنانها و سلاسلها
فتهوي كأعجاز نخل خاوية
ويبدأ تاريخ
جديد

العصا

قال لي
لم أنحن يوماً
لن أنحنِ أبدا
– إذن أنت مولودٌ و قدماء
في حذاء
لم تخلَّعه أبدا

ثم قال :
مُنْتَصِبَ
القامة
سأظل أمشي

– إمش

كيفما شئت
أينما شئت
لابد
ستنحني
يوما
للعصا

العنقود

كاملَ حياته
عاش مُتمنيا
حبّة عنب

إشتهاها
لذيذة
لكنها غالية وعالية

مات
غرسوا
عند رأسه
دالية ...

الهلال

اليوم أيضا
ساعي البريد لم يطرق بابه
لا جار و لا جارة

اليوم أيضا
الهاتف لم يرن
ولا حتى خطأ

صبيان الحي لليوم الثاني
ولا
كُرة

الغروب ينساب من النافذة
أزاح الستارة إلى الحائط
الليلة
الهلال
هو أيضا
أخلف
موعده...

سيدي رزيق 1958

عندما ترتقي الشمس النافذة
أكون قد فتحت الباب
محفظتي في يدي
وقفت أنتظر

يمرّ أؤلا الخباز
على أزيز دراجته
أطير وراءه مُتنسما شذاه الشهى ...
يتلوه المِسِيُو - جاك -
تتأبطه مَدَام - جاكلين - على كعبيها العالي
هو... قبعة سوداء
هي... حقيبة يد سوداء
- بَانْجُورُ
- بَانْجُورُ

الحقّ أنهما لطيفان
وهُما المبادران بالتحية
في أكثر الأحيان
هما
آخر الإفرنج
قريبا - قيل - سيرحلان

عندما يختفيان في المنعطف المنحدر
تصلني جلجلة قطع البقر
الراعي وراءها
أو يهرول بينها

وهل أنسى أنه مرّة كسّر عصاه
على الثور وهو يرتقي إحداهن...؟!
فطفقنا نضحك ونضحك

عندما يختفي قطيع البقر في المنعطف المُنخَدِر
يُطل قطيع الغنم من على الربوة
الكلب المُرقَط النشيط
يلاحق صغار الماعز المتخلفين
الذين يأكلون من سياج الحدائق

عندما يصل التيس إلى المنعطف المنحدر
تسبق الراعية الصغيرة
التي وجنتها حمراء
أحمر من قرص الشمس
تسبق الراعية بعصاها التي أطول منها
إلى مقطع سكة الحديد

ينبغي الآن
أن تنتظر الصبية هناك
عند الوليّ سيدي رزيق
حتى يفوت قطار البضائع الطويل والبطيء
ما يكاد قطيع الغنم يختفي في المنعطف المنحدر
حتى أسمع صفير القطار

عندها بالضبط
يصل القطيع
قطيع المَحافظ والميدعات الزرقاء
إثنين إثنين
ماباله اليوم في صمت ونظام
حتى دقائق الأحذية
خفيفة الوطاء

تذكّر
كان يومذاك إمتحانَ الحساب
- هيا يا أولاد...أسرعوا,,,أسرعوا
و يهشّ علينا راعينا... بالعصا

كليك...كليك

الدرس الأول في الإبحار
جلسْتُ إليه... أهلاً وسهلاً
حسنًا...قال...هل ترى
كُليكُ...كُليكُ
هذه هي الشاشة
أضف...الآن سنبحر
أبحرثُ...بلى...إلى تخوم
الصحراء
في سوق القرية جلسنا
بعضنا على الرمل...
بعضنا على الحصى
بعضنا أصرّ أن يظلّ واقفا
وجها لوجه أمام الوليّ الصالح سيّدي - عرفة -
بعد أذان العشاء
الجدار أضاء
صاح الجميع :
سينما...سينما
كليك...كليك

حَسَنًا...قال...الآن هل ترى هذه اللوحة
الحروف هنا / الأرقام هناك
رأيتُني عند درس الحساب و درس الخط
أمدّ يدي للسيدة العصا

كليك...كليك
الآن هذه هي الفأرة
دحرجها رويدا رويدا
ثم قال...كليك...كليك...هل ترى
لو أنه رأى قطنا الأسود الكبير
في حوشنا القديم
على الفأر إذا هوى...
- البقية سنراها في المرّة القادمة
...إنتهى الدرس

كليك...كليك

القفص الكبير

كلما أوحشتني المدينة
أخذت طريق ربوة الغاب
إلى حديقة الحيوانات
أقطع تذكرتي
أبدأ بيميني

– صباح الخير صديقي
يسرع نحوي هاشا باشا
أناوله قطعة الجبن
يرفع فروة ذيله بالتسليم
ويمضي الثعلب صديقي
فأمضي

– صباح الخير صديقي
يسرع نحوي جذلان
حتى يتمسح على السياج
يلامسني
ثم يعوي كالمواء
أناوله ما في يدي
ما أبيض أسنانه / ما أحمر لسانه
صديقي ذئب وهو يتنسم

إلى النسر أنعطف
حذو قفصه أقف
يطير إليّ
يرفرف حولي
ما ألطف منقاره في يدي...ثم
يولي جناحيه
إلى أيكه يطير...

رويدا...رويدا
أدراجي أعود

عبر الباب
نحو القفص الكبير

الدرجة الأولى

لسفره
يُعدّ كل شيء
الصغيرة والكبيرة
من لون الحقيبة إلى لون الجوارب
إلى مقعد الطائرة
طبعا الدرجة الأولى
الكرسي الأول على اليمين
قرب النافذة
وباب النجدة
يسأل حتى عن صاحب الكرسي المجاور
حسنا...حسنا
كل شيء على أحسن ما يرام
الرحلة طويلة وله فيها محطتان
أقلعت الطائرة
أغمض عينيه لينام
غير أن سنفونية أنف جاره
خرجت هذه المرة
عما إعتاده من نظام...؟

المأدبة

بعدهما صام يوما
يومين
وأضرب عن الطعام أسبوعا
أسبوعين
دُعي إلى مأدبة
فإذا هو أمام مائدة
مائدة فيها من كل شكل ولون
غسل يديه وبسمل وحمدل
ووضع المنديل
ثم تناول الملعقة

لا
تناول الشوكة والسكين

لا
مدّ يده اليمنى
فهو آخر أحفاد البدو
سرعان ما أعادها
وانتصب واقفا
لقد فقد شهية الأكل

زجاجة القلب

منذ أن التقاها ذات ربيع
في كل ربيع
يهديتها باقة ورد
أو عطرا فاخرا
شياء هذا العام طال وإستطال
غيوم أمطار ثلوج ورياح
صار بائع الورد يعرض زهورا وورودا
من البلاستيك
إذن سيهديتها عطرا
عندما أوصى البائعة أن تُحسن القرطاس
وأدخل يده إلى جيب الصدر
ليدفع الثمن
تهشمت زجاجة القلب

تونس الآن وهنا

مُحام في سواده والبياض
واقف وسط الساحة
يُنظم حركة المرور
تلاميذ على الأرصفة
يجمعون النفايات
بائعُ غلال على شاحنته يُنادي
من ليس له ثمن ... بلاشُ

باقهٗ وردة يانعة
على مدفع دبابهٗ
مُظاهرة قادمة من الشارع الكبير
لا عجب في تونس الآن
بل عجب العجب
المتظاهرون هُم
جماعاتُ الشرطة
وأعجبُ العجب
إبنُ خلدون الواقف في تمثاله
وسط خضم الجموع
رأيتُه... نعم رأيتُه
رأيتُه يكتب بيده صفحة جديدة
من - المقدمة -